آثار البهنسا

لحضرة العالم الفاضل السيد محمد بك بيرم

البهنسا مدينة قديمة يُتبرَّك بها عَلَى نحو ١٥ كيلومترًا من محطة بني مزار وهي اقرب محطات السكة الحديد اليها . ولم يبقَ من آثارها الشهيرة وجوامعها الكثيرة ورباطاتها ٱلَّتي كانت تبلغ اربعين عدًّا كما ذكرهُ المقريزي وعلي باشا مبارك في خططهما سوى مسجدين نقام فيهما الشعائر الدينيَّة واضرحة ليس فيها شيءٌ من حسن الصناعة

واشهر ما فيها الآن اولاً المسجد المعلَّق وهو في وسط المدينة على نحو مئتي متر من البحر اليوسفي في الضفة الغربيَّة . ويقول السكان ان اسم بانيهِ مصطفى حُرَيْب المقدم .طولهُ عشرون مترًا من الشرق الى الغرب وعرضهُ اثنا عشر مترًا من الجنوب إلَى الشمال وفيهِ ست عشرة باكية (رواق) على اعمدة كلها من الحجر الازرق الاَّ ثلاثة منها امام المحراب فانها من الرخام الابيض . وعلى احد الاعمدة كتابة طمست لا يقرأُ منهـا الاَّ اسم مصطفى ولعلهُ مصطفى حريب المشار اليهِ آنفًا . وللجامع بابان احدهما شرقي تحت المأذنة تمامًا والآخر غربي يقابلها وكلاهما مسدود الآن بحائط . وكان امام كل باب منهما باكية على عمود وقد زالت الباكيتان وبقي العمودان مطروحين على الارض . وقيل لي ان الباكية الغربيَّة كانت مصانة بحاجز من الخشب البديع الصنعة على شكل المشربيَّة ولم يبقَ منهُ الآن شيءٌ

وفي الجهة الشماليَّة من الجامع ايوان حسن الصنعة وهو الاثر الوحيد الذي لم يندثر من هٰذَا الجامع . وسقفهُ على غاية من الحسن والبهاء . وصحن الجامع مكشوف لا سقف لهُ . والجامع كلهُ مبلط بالبلاط الصقيل ما عدا صحنهُ وهو مبنيٌّ بالاجر (الطوب الاحمر) والحجر النحيت . والمنارة من الاجر ايضًا وقد وقع تاجها وهي غاية في الحسن . ويدخل الى الجامع الآن من باب قرب المحراب كان يوصل في الاصل الى الميضأة والحمام . وسقوف البواكي من خشب النخل ولم يبقَ منها الآن الاَّ سقفان

وللمسجد محرابان الايمن منهما في غاية البهاء والزخرفة ولم تزل الالوان المزوَّق بها على بهائها وقد كتب في وسطهِ " بسم الله الرحمن الرحيم قد نرى تقلُّب وجهك في السماء فلنولينَّك قبلةً ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام" . وفي آخرهِ هذه الارقام ١٩٤ . وحول السقف على الخشب آيات قرآنيَّة بخط ثلث جميل بعضها ظاهر و بعضها مطموس . وقد كتب حول الايوان سورة الفتح من اولها إلَى قولهِ تعالى " وكان الله عليمًا حكيمًا "

يعلى اول المنارة فوق الباب الاصلي من جهة الجامع لوح رخام كبير فيهِ كتابة بخط ردي، لم استطع قراءتها ومن جهة الشارع بين الباب والمنارة لوح عليهِ سطران في الاول منهما بخط كبير " بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الاَّ الله محمد رسول الله " وفي الثاني بخط صغير صلى الله عليهِ وسلم هٰذَا هو الامر المبين . تمت عمارة هٰذَا المسجد المبارك سنة ١١٩٤ " وعلى خارج الجامع من الجهة الجنوبيَّة لوح عليهِ " بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلهِ وصحبهِ وسلم انَّا فتحنا لك فتحًا مبينًا ليغفر لك الله "

والجامع كلهُ متهدم يكاد يقع وكذلك ما حولهُ من الدكاكين ولم يبقَ ظاهرًا من الحمام الذي بجانبهِ سوى بابهِ وعليهِ نقوش تدلُّ عَلَى حسن صنعتهِ واتقانها . وليس في المسجد اثر للمنبر ولا دليل عَلَى انهُ كان فيهِ منبر . وفي الباب الغربي موضع سلم ربما كان يقصد بها اقامة منارة ثانية تقابل المنارة الاولى

وجملة القول ان هٰذَا المسجد أُصيب بالخراب والدمار التامَّين والسكان ينتظرون سقوطهُ من يوم الى آخر ويقولون انهُ لم تقم فيهِ شعائر دينيَّة منذ ثلثمئة عام ولا يعرفون لهُ وقفًا خاصًّا بهِ . وهو حري باهتمام لجنة حفظ الآثار العربيَّة . لكنني اشك كثيرًا في ان تاريخ بنائهِ هو سنة ١٩٤ المرقومة عَلَى محرابهِ فان الكتابة في القرن الثاني للهجرة لم تكن على الشكل الذي على المحراب . ولم ارَ في كل الكتب العربيَّة التي راجعتها اشارة الى هٰذَا الجامع مع انهُ اجمل جوامع البهنسا . وعندي ان التاريخ المرقوم على بابهِ الخارجي هو التاريخ المعوَّل عليهِ لبنائهِ وان رقم الالف اندثر من تاريخ المحراب او لم يكتب لضيق المكان او استُغني عنهُ للاختصار كما هي عادة بعض الكتَّاب . ومهما يكن من الامر فالكتابة التي على هٰذَا الجامع لم تظهر الاَّ بعد القرن الرابع للهجرة ولذلك لا يمكن التسليم بانهُ بني سنة ١٩٤ اما اقوال الاهالي عن تاريخ بنائهِ فلا يركن اليها لانها مبنيَّة على السماع المجرَّد

ثانيًا — مسجد الحسن بن صالح وهو اكبر جوامع البهنسا واصلهُ كنيسة صيرها جامعًا الحسن بن صالح بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وذلك عند فتح هذه المدينة وقد سقط ليلة ٢٧ رمضان سنة ١٢٦٤ وبني ثانية سنة ١٢٦٧ وليس فيهِ شيء يستحقُّ الذكر سوى قدمهِ . ومنبرهُ تدل صناعتهُ على انهُ انشئ في زمن الفاطميين

ثالثًا . مصحف قديم مكتوب بالخط الكوفي على رق غزال . ويقول اهل البهنسا انهُ بخط عثمان بن عفان رضي الله عنهُ بل يقولون انهُ مصحفهُ الحقيقي الذي قتل وهو يقرأُ فيهِ . ويوجد مصاحف كثيرة من هٰذَا النوع في بلدان عديدة . والذي حققهُ اهل العلم عنها انها

كُتبت عَلَى شكل مصحف عثمان الحقيقي ولُرّثت فيها الآية الكريمة (فسيكفيهم الله وهو السميع العليم) ٱلَّتي وقع عليها دمهُ بالدم ايضاً وفرّقت عَلَى الآفاق لاثارة الاحقاد عَلَى مَن كان يُتهم بقتل عثمان في ذلك الحين

وكان هٰذَا المصحف في مقام ابان (١) بن عثمان رضي الله عنهما ونقل الى منزل الشيخ محمد الاحول ناظر المقام المذكور وهو فيهِ الآن . وقيل لي ان رجلاً اسمهُ خورشيد باشا دفع فيهِ الف جنيه منذ ثلاثين سنة فلم يرضَ حافظهُ ولا اهل البهنسا ان يبيعوهُ لان اهل البلاد المجاورة يزورونهُ كل سنة ويتبركون بهِ . ورأيتهُ في صندوق من الخشب لا غطاء لهُ ولا زجاج وقد لعبت ايدي الزمان باوراقهِ ونسافطت قطع منها . واوراقهُ غير مرتبة وبعضها مفقود ومبدول باوراق عادية مكتوبة بالخط العادي وورقتهُ الاخيرة مفقودة وقيل لي انهُ كان عليها اختام اربعة وربما كان فيها اسم صاحبهِ او ذكر وقف حكمت الضرورة بطمسهِ ونحو آثارهِ . ومِمَّا هو جدير بالذكر ان الحروف الكوفيَّة في هٰذَا المصحف منقوطة مع ان الخط الكوفي القديم لا نقط فيهِ فوجود النقط في هٰذَا المصحف يدل عَلَى امر من امرين اما انهُ لم يكتب في زمن عثمان او ان الايدي لعبت بهِ في زمن من الازمان التالية

بلاد المتابيل

قضت مطامع الناس ومطالب العمران ان نسمع كل شهر عن بلاد جديدة يقتضي ان نصفها وصفاً يوضح لجمهور القراء ما تأتينا بهِ الانباء البرقيَّة من اخبارها كما وصفنا بلاد الاشنتي وفنزويلا والترنسفال

وبلاد المتابيل ٱلَّتي كثر ذكرها الآن في الجرائد اليوميَّة والانباء البرقيَّة في جنوبي افريقية وهي بلاد فسيحة كثيرة الجبال والوهاد اشتهرت من قديم الزمان بمناجم الذهب وطيب الهواء . مساحتها نحو ١٢٥ الف ميل مربع وعدد سكانها نحو مئتي الف نفس فتحتمل اضعاف اضعافهم لان مساحتها اكبر من مساحة بريطانيا العظمى . سكانها المتابيل فريق من الزولو هاجروا اليها منذ نحو ستين عاماً هاربين من وجه الطاغية شاكا ملك الزولو فنزلوا بلاد الترنسفال اولاً ثم انتقلوا شمالاً إلَى هذه البلاد ودوخوها واخضعوا سكانها الاصليين . وجعلوا

(١) والمحقق ان ابان مدفون في المدينة المنورة